رؤية تحليلية لوضعية الطفل العربي في ظل عولمة وسائل الاتصال

طاطش سعيدة عطار

جامعة ورقلة

المقدمة

إن تطـــور الفكـــر الإنساني حتمي، ومعه تطور المادة التي هي تعبير لهذا الفكر ومدى قدرته على الإبداع. وأهـــم إبداعات الإنسان كانت مرتبطة بالتقدم التكنولوجي الذي مس شتى مجالات النشاط البشري، وكانت وســـائل الاتصـــالات إحـــدى مظاهر هذا التقدم المذهل، وبفضل ذلك تحولت المعلومات التي تنقلها وسائل الإعـــلام، مـــن مـــادة نادرة ومحدودة وقابلة للنفاذ بحكم الاستخدام أو تجاوز الزمن إلى طاقة متجددة النمو والانتشـــار بغـــير حدود زمنية أو مكانية. كما أصبح تقدم وقوة الدول بما تمتلكه من معلومات كما ونوعا، مرتـــبطا بقدرتهـــا عـــلى الســـيطرة على هذه المعلومات وتوجيهها والإفادة منها في تحقيق مصالحها السياسية والاقتصـــادية والاجتماعية والثقافية. وكان من بين وسائل الاتصال الأكثر شيوعا من حيث الاستخدام وكذا مـــن حيث التأثير على الأفراد، التلفزيون والانترنت. وإيمانا منا بأن حاضر الطفل العربي هو حاضنة مستقبله، وبأن وضعيته تعكس مدى تحضر المجتمع وأنه، مما لا يقبل الشك، مستقبل الأمم، فان البحث التالي يأتي عرضا لتبـــيان تأثير ودور أبرز وسائل الاتصال من حيث الاستخدام من طرف الأفراد والطفل محاولة لعكس وضعية الطفل العربي.

إشكالية البحث

لقـــد عرفـــت العشرية الأخيرة ثورة في المعلومات لا نظير لها، وساهم في ذلك التطور التكنولوجي الذي أوجـــد الوسائل والتقنيات الالكترونية بالدرجة الأولى، لنشر أكبر كم من المعلومات ثم الاتساع إلى أبعد مدى في فضاء نشر هذه المعلومات. وكان التلفزيون أول موزع أو ناشر لها، ثم نافسه الانترنت بشكل كبير لدرجة أنـــه أصبح المهيمن على عالم **المعلومات السريعة الحصول**. وقد كان هذا أحد أوجه العولمة أو بالأحرى أحد منتجات العولمة الحتمية،أو المنتجات الحتمية للعولمة إن شئنا.

ولقـــد دخلت وسائل الاتصال بصفتها وسائل إعلام كل بيت، وأخذت تؤدي دورا مهما في وعي المتلقي والـــتأثير في مفاهـــيمه وقـــيمه وعاداته. بل تعدى ذلك أن طغت على مستويات أخرى، كالأسرة، والمدرسة، والمجتمع، وغدت سبيلا مهما في تكوين الفرد ومزاج المجتمع، والمشارك الرئيسي في تحديد ملامح سلوك الناس وحـــياتهم اليومـــية. كما أصبحت وسائل الاتصال ورسائلها جزءا من نسيج المجتمع وحياته في كل مكان في عالمنا، وذات تأثير مباشر في التكوين الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والثقافي للمجتمعات بل وقادرة على إحداث تغيرا في مسار الخيارات لهذه المجالات، وذلك فضلا عن إمكانياتها تشكيل الوعي وتحديد مسار سلوك

الأفراد والجماعة... ولأن الدول المتقدمة تملك التكنولوجيا والمعلومات وهما أساس الاتصال، أصبح طبيعي أن تبسط هذه الدول سيطرتها على وسائل الاتصال والرسائل التي تتضمنها هذه الأخيرة بحيث تكون في خدمة مصالحها ومطامعها قبل أي دور أخر. كما أصبح الاتصال يخضع لقوانين السوق وقواعد العرض والطلب وشروط المعلنين وأهدافهم، مما أدى في معظم الأحيان إلى الطغيان والتبسيط والتسطيح والإثارة والجريمة والعنف والجنس وتدني مستوى المحتوى الثقافي. كما انتشرت الأذواق الاجتماعية والثقافية للبلدان المتقدمة على نطاق واسع وغدت مألوفة وتحظى بإعجاب الكثيرين لدرجة تقليدها. وقد تتخذ كمعايير للسلوك البشري في البلدان التي هي غريبة بالأصل عنها والتي تتعرض لها، أي أنها استطاعت أن تغير في البنية الثقافية للمتلقي بعيدا عن أخذ ثقافته أو قيمه أو مصالحه وحاجات تطوره بعين الاعتبار.(مراد،2004:152-153) وكان من ضمن هؤلاء المستقبلين الطفل العربي، الذي يشكل ما يزيد على نصف عدد سكان المجتمع العربي، وهو يتعرض وباطراد لتيارات وقيم ثقافية متباينة، وأساليب متنوعة في التفكير عبر القنوات الفضائية العربية وغير العربية وعبر الحاسبات الآلية أو الانترنت، في الوقت الذي تنحسر فيه وباطراد أيضاً أدوار كل من الأسرة والمدرسة في التنشئة الثقافية، فيعيش الطفل العربي أكثر من عصر ثقافي تتداخل فيه قيم الثقافة التقليدية مع قيم الحداثة مع قيم ثقافة العولمة، ما يخلق للطفل مواقف صراع تزداد تأججاً بين وسائل مبهرة تستخدم في بث ثقافات مغايرة متنوعة المضامين والغايات وبين أساليب تقليدية غير قادرة على الصمود أو حتى جذب الطفل إليها.(المجلس العربي للطفولة والتنمية،2003) بينما هو في حاجة إلى وسائل اتصال تيسر تفاعله الإيجابي مع الفضاءات المحيطة به، وبما لا يخل بشخصيته وبعناصر هويته الحضارية ومقوماتها. وفي هذا السياق تأتي تساؤلات إشكالية البحث متمحورة حول نقاط جوهرية من حيث تصورنا لوضعية الطفل العربي. هي كيف يبرز تدخل وسائل الاتصال وأبرزها التلفزيون والانترنت في نقل التراث الاجتماعي والثقافي للطفل مع الانتباه إلى تأثير نفس هذه الوسائل كوسائط إعلامية للعولمة الملفة بالعالم العربي لامحال.

ثم كيف يبرز دور نفس هذه الوسائط في التعليم، لسيما وأن الدول المتقدمة المناصرة لعولمة توسع استخداماتها يوما عن يوم وتبرز التأثير الايجابي لها. وأخيرا كيف لنا أن نوجد استراتيجية لاستغلال" محاسن " هذه الوسائط الاتصالية لتحسين وضعية الطفل العربي في مجتمعاتنا.

تحديد المصطلحات

أولا: العولمة Globalisation

تعرف العولمة على" أنها التحول إلى العالمية والبعد عن الانغلاقية والاتجاه إلى الاحتكاك مع الثقافات المجتمعية المختلفة، والعمل على الاندماج في إطار المجتمع العالمي وعدم التخوف من ذلك".(هيكل،1998:233)

كما تعرف على أنها" سيطرة الاتجاهات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية الغربية على شعوب العالم الثالث وعلى حساب تراث تلك الشعوب، وبدعوى أن العالم يعيش كقرية كبيرة تتأثر بما أنتجه الغرب من مؤثرات مادية وتكنولوجية، بل ويؤدي إلى غياب أصل التراث الحضاري لهذه الشعوب، وبذلك يعيش

أفـــراد هذه الشعوب في غربة فكرية عن جذورهم الثقافية التي جعلت منهم شعوبا متميزة بثقافتها عبر العصور التاريخية".(الشيخ،80:1998)

كمـــا يـــرى بلقزيز " أن العولمة ماهي سوى السيطرة الثقافية الغربية على سائر الثقافات بواسطة استثمار المكتبات العلوم والتقنية الحديثة في ميدان الاتصال، وهي كذلك الانتقال من المجال الوطني أو القومي إلى المجال الكوني".(بلقزيز،19:1998)

"والعولمـــة في نظـــر بعـــض الدارسين، ترتبط بأربع عمليات أساسية وهي : المنافسة بين القوى العظمى، والوصول إلى التقنية الجديدة، وشيوع عولمة الإنتاج والتبادل والتحديث".(ذياب،152:2002)

ثانيا : وسائل الاتصال

تعـــرف الباحـــثة وسائل الاتصال على أنها" مجموع العمليات الكهربائية والإلكترونية المستعملة في إنتاج ونشر الصور والأصوات والرموز، باعتبارها معلومات تفيد التواصل بين الأفراد سواء كان هذا التواصل فرديا أو جمعـــيا، لأجـــل الإفـــادة منها بحسب مجال النشاط. كما أنها تمتلك الفاعلية في الترفيه والتكوين والتثقيف والتغيير الاجتماعي."

منهج البحث

اتبعت الباحثة في الدراسة الحالية المنهج الوصفي، الذي يقوم على تفسير الوضع القائم للظاهرة أو المشكلة مـــن خـــلال تحديد ظروفها وأبعادها وتوصيف العلاقات بينها بهدف الانتهاء الى وصف عملي دقيق متكامل للظاهـــرة يقـــوم على الحقائق المرتبطة بها، ولا يعني هذا اقتصارالمنهج الوصفي على عملية الوصف فقط وإنما يشـــمل كذلـــك تحليل البيانات وتفسيرها كميا وكيفيا.(اللحلح وأبوبكر،51:2001-52) وتحقق ذلك للباحثة من خلال جمع البيانات وتحليلها ووصفها بعد اطلاعها على الأدبيات المرتبطة بالدراسة الحالية.

الإطار النظري

التنشئة الطفلية

إن **مفهوم الطفولة** في القرن العشرين عرف تطورا جذريا إذ راح يستمد عناصره من ذات الطفل نفسه لا مـــن خارجه، وذلك بفضل تنوع العلوم التي تتناول موضوعه، والتداخل بين اهتماماتها. وهناك ثلاث مناحي تبين معالم التطور الذي حصل في مفهوم " الطفولة:"

المـــنحى الأول: وهو ما أسفرت عنه أبحاث جان بياجي في ميدان السيكولوجيا التكوينية أو سيكولوجيا النمو، من أن الطفولة عملية نمائية للبنيات العقلية، يحقق فيها الكائن توازنا ينجم عن نضج داخلي وتمثل للعالم الخـــارجي. هكـــذا فالطفل في هذه المرحلة الحسية الحركية عاجز عن تصور شبكة العلاقات المجتمعية والقيم، ويتبع منطقا يتناسب وطبيعة المرحلة التي يمر بها للوصول إلى هذه المعطيات.

المـــنحى الـــثاني: ويتحدد في الثورة التي أحدثها التحليل اليقيني بخصوص الطفولة وتفاعلاتها الوجدانية التي تحـــدد معالم الشخصية الإنسانية طيلة حياة الفرد، وهذه التفاعلات لا يمكن تصورها إلا في علاقاتها مع النسق المجتمعي خاصة داخل الأسرة.

المـــنحى الثالـــث: يتحدد في الدراسات السوسيولوجية المتخصصة في تحليل ظاهرة تنافر التصورات والقيم والعلاقات والمشاكل المطروحة على المجتمع بين الأجيال.(القباج،1997)

ولا يعد التطور المفهومي حدثا معزولا عن السياق المعرفي العام،حيث يدخل في علاقة جدلية مع التطورات الأخـــرى الـــتي عرفها القرن العشرين سواء في مجال العلوم الدقيقة أو الثورات التكنولوجية الكبرى خاصة في مـــيدان المعلوماتية، الذي ينتقل فيه العالم من مجتمع الإنتاج الصناعي إلى آخر معرفي له ارتباط وثيق بوسائل الاتصـــال. وقد أصبح الطفل في مختلف دول العالم معرَّضًا ـــ بل أصبح هدفا ـــ لكل ما تقدمه له التكنولوجيا المعاصـــرة، التي لا تحقق أهدافها إلا إذا انصهرت في الكيان المجتمعي، وأصبحت متاحة لغالبية الأفراد من جميع الأعمار وعلى اختلاف قدراتهم، مثل ما هو الحال فيما يخص جهاز التلفزيون حاليا. وكيفما كان المنحى المتبنى، فـــان الطفولـــة تســـتمد معناها من خلال التنشئة الاجتماعية التي تعكس واقع المعاش النفسي، والاجتماعي، والـــتربوي، والاقتصـــادي للطفل. وفي هذا السياق، يرى ر ابر Reber أن التنشئة الاجتماعية هي العملية التي يصبح الفرد من خلالها واعيا بالقيم والمهارات الاجتماعية ومكتسبا لحساسية اجتماعية تؤهله إلى كيفية التفاعل مع الجماعة في مجتمعه. وهي بنظر بيرسونس Parsons تعتمد على التلقين والمحاكاة والتوحد مع الأنماط العقلية والعاطفـــية والأخلاقية لدى الطفل، هادفة إلى إدماج عناصر الثقافة في نسق الشخصية. تبدأ من الميلاد داخل الأسرة وتستمر باتساع أنساق التفاعل كلما كبر المرء وتعبر عن نشاط البناء الاجتماعي بأنساقه. وهي بذلك تمـــتلك وظـــيفة ظاهرة، تتمثل في تدريب الطفل على أداء أنماط معينة من السلوك يرضى عنها المجتمع وتكون أســـاس ســـلوكه أثناء حياته. كما أن لها وظيفة مستترة أو كامنة تهدف إلى توحد الطفل مع مجموعة الأنماط الثقافية للمجتمع، وهي القيم الاجتماعية التي تتكون منها بنية الشخصية.(الشربيني وصادق،18:2000)

أولا: الأسرية

يـــتفق المختصون في العلوم الاجتماعية على أن الطفولة تتحدد بمرحلة عمرية، تسهم التشريعات والقوانين بترســـيخها، كما يجهد العلماء النفسيون في تحديدها وتحديد وفهم خصائصها قصد توفير المعرفة التي من شأنها تنمية الطفل وإشباع حاجاته، وإعداده لأدواره المستقبلية.

إلا أن هـــذا لم يعد شرطا كافيا لفهم الكثير من تصورات الطفل ومفاهيمه واختياراته وأفعاله، واشباعاته وإحـــباطاته. حيث أنه على الرغم من وجود حاجات مشتركة بين الأطفال في المرحلة العمرية نفسها، إلا أن هـــذه الحاجـــات متباينة فيما بينهم، بتباين خصائص المجتمعات المحلية التي يعيشون فيها، اقتصاديا واجتماعيا، وثقافـــيا كمـــا هو الحال عند مقارنة المعاش الاجتماعي لطفل كل من الريف والحضر والمناطق العشوائية على حـــواف المدن والمناطق الصحراوية. كما تتباين بتباين الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لأسرته: فأطفال الفقر

تتباين مشكلاتهم من منظور الأوليات، فمنهم الطفل الذي تعول أسرته امرأة (محدودة الفرص والامكانات)، ومنهم الطفل العامل وطفل الشارع، هذا غير حاجات طفل الشرائح الاجتماعية الوسطى أو العليا. (المجلس العربي للطفولة والتنمية، 2003).

وتتأثر الطفولة باعتبارها مرحلة من مراحل نمو الشخصية، بنوعية التنشئة التي يتلقاها الطفل التي قد تتميز إما بطابع التقليد أي التربية الدجية، أو بطابع الحداثة، أي التربية التحريرية. وتعد الأسرة الإطار الاجتماعي الذي يفتح الطفل عينيه فيه على العالم، وهي الوسط الذي يتكفل بمنح الطفل الأمان والمعرفة والخبرة، عناصر بعضها وجداني، وبعضها عقلي، وبعضها سلوكي، يتحقق في تفاعلها النضج النفسي والاجتماعي للطفل، لتكون الطفولة منتوجا عقليا ومجتمعا معقدا تتحكم فيه مجموعة من التفاعلات الفسيولوجية والنفسية والمجتمعية والعقلية.(القباج،1997) كما أنها المؤسسة الأولى التي يكتسب الطفل عن طريقها قيم ومعايير واتجاهات محيطه الاجتماعي ويتعلم قواعد السلوك والعادات والمهارات ويلقن القوانين والنظم والأعراف الاجتماعية، بحيث يكتسب مقومات السلوك الذي تنهجه وترضى به الجماعة التي ينتمي إليها. (القريطي،434:1998) ومع نمو الطفل يزداد تفاعله مع أفراد أسرته، مواصلا من خلاله اكتسابه لمهارات التعبير، لتتسع دائرة اتصاله الاجتماعي شيئا فشيئا من الأسرة إلى الأطفال الأقران إلى أصدقاء الروض أو المدرسة، التي لها هي الأخرى دورا في تكوين شخصية الطفل حيث عن طريقها يتدرب على التفاعل الاجتماعي مع الآخرين في شكل يخالف التفاعل الأسري. لكن الأسرة هي الكيان الذي يقضي الطفل أكبر حجم زمني بجواره، كما أنها الأهم وجدانيا بالنسبة له وتبقى المرجعية التي يعتمد عليها الطفل عند تقييمه لسلوكه، فهي الأكثر أهمية والمسئولة بالدرجة الأولى عن بناء شخصية الطفل وبناء جيل الغد.(رشوان،77:1998-80) لكن هل تواصل الأسرة دورها التقليدي والمتوقع منها على الرغم من حضور وسائل اتصالية أخرى أفرزتها الثورة التكنولوجية، و لم يعد الطفل غريبا عنها؟ وهل تواصل ممارسة تنشئة الطفل بنفس أسلوبها المعهود؟

ثانيا: المجتمعية

تسعى عملية التنشئة الاجتماعية إلى إيجاد التوافق بين إشباع الحاجات الشخصية والاجتماعية ومطالب البناء الاجتماعي الذي يكون الطفل عنصرا فيه، والى تعديل سلوك الفرد بما يحقق رغباته ويرضي عنه الآخرون متشبعا بثقافة المجتمع الذي يعيش، علما أن ثقافة الطفل هي جزء من الثقافة الكلية للمجتمع، وتظهر في ثقافة الأطفال الملامح الكبيرة لثقافة المجتمع في العادة، من دون إهمال الدور المهم الذي تؤديه الأسرة في تكوين ثقافة الطفل.(الهيتي، 31:1988)ولا تقتصر مسؤولية التنشئة المجتمعية على إكساب الطفل القيم الأخلاقية والدينية والتراث الثقافي وأساليب أو أنماط سلوكية والخبرات العلمية والعملية، بل هي أيضا عملية تربوية تسهم فيها وسائط متعددة.(ابراهيم وسليمان،49:2002)

وتتحكم بالعادة في التنشئة المجتمعية للطفل، جماعة الناضجين خاصة في مجال التربية والتعليم، بغية دمج الفرد في الجماعة وفق أعرافها ومعتقداتها وأنماط سلوكها، حتى يحقق الفرد نضجه الكامل في ظروف تفتح

مناسب تسهم في تمكينه من استثارة وتطوير كل قدراته ومهاراته. ويرتبط التعامل مع الأطفال كجيل اجتماعي ثقافي له خصائص متباينة عن خصائص الأجيال الأخرى، وبالأخص إذا اعتبرناه عضوا فاعلا تنمويا، بضرورة تمكينه من إشباع حاجاته الأساسية، وتهيئة فرص مشاركته في ضوء تكافؤ الفرص لكل الأطفال، وبغض النظر عن النوع أو مكان الإقامة أو المستوى الاجتماعي أو الاقتصادي للأسرة أو غير ذلك من الخصائص. ولا تزال تتحقق التنشئة المجتمعية التقليدية في المؤسسات المجتمعية الأصلية خاصة خلية العائلة، والمؤسسة التعليمية ومؤسسات الشغل والمؤسسات السياسية كالأحزاب والنوادي... مستعملة وسائل جاهزة لهذه التنشئة، أهمها اللغة والمعتقد والعرف ومضمون التعليم واللعب... أما التنشئة المجتمعية المتقدمة صناعيا، فقد ظهرت بها وسائل جديدة لهذه التنشئة متمثلة في تقنيات الاتصال التي تسهم في العمليات التعليمية بجعلها أكثر سهولة وفاعلية. ويرى د. نبيل علي"أن تكنولوجيا المعلومات تمثل إحدى الوسائل المنشودة لتعويض تخلفنا في مجال تربية الطفل" (علي،197:2002)

وتعد المدرسة، المؤسسة الموالية للأسرة من حيث أهميتها في التنشئة المجتمعية للطفل. وهي تسهم بقدر كبير في تشكيل شخصية الطفل، بل وترسم ملامح شخصيته المستقبلية التي سيكون عليها عند تحوله إلى مرحلة الشباب والرجولة. كما أنه من مهامها تكثيفها للعطاء الثقافي ونقل التراث، وفقاً لخطط ومنهج يتوافق مع خصائص المراحل السنية في حياة الطفل، مع استخدام الأدوات والمعلومات في بيئة تستثير النشاط لدى الطفل وتزكي رغبته في التعلم مع ترسيخ الأصالة والانتماء الوطني في نفسه، وبأن يكون ذلك المنهج واقعياً يستمد وجوده من المجتمع متوافقاً مع التغيير والتجديد الذي يحفز الطفل.(دويدار،1999:107-110)

وسائل الاتصال والعولمة

شهدت هذه الحقبة طفرة في مجال الاتصالات والإعلام، حتى أصبحت القدرة على امتلاك واستخدام الهاتف أو التلفزيون أو شبكة الإنترنت تعد من المؤشرات الهامة للتنمية البشرية في أي بلد. ومع الأسف تشير الدراسات أن العالم العربي يأتي في ذيل الدول في العالم في مجال التنمية البشرية وخاصة بالنسبة لنصيب الفرد من التقنيات الحديثة في مجال الاتصال.

وفيما ركز العديد من الباحثين في دراساتهم على انعكاسات العولمة على المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وحتى العسكرية، اهتم البعض بدراسة عولمة وسائل الاتصال والإعلام. وهذه الأخيرة على درجة كبيرة من الأهمية لكونها تهتم بالمناخ المعرفي وتؤثر أيضا على مجمل حياة البشر فتغير من عاداتهم وأساليب معيشتهم وحتى نظرتهم إلى أنفسهم في مقابل العالم الواسع. وإذا كانت "المعرفة" قوة، فان أجهزة الاتصال والأعلام هي المسئولة عن منح هذه القوة أو حجبها. فهناك عولمة للمعلومات نفسها واحتكار لها من قبل المنتجين، وعولمة لأنماط الحياة من خلال الترويج لها عبر وسائل الأعلام (سواء بوعي أو عن غير وعي) وعولمة للثقافة، وعولمة للقيم الاجتماعية. وكون وسائل الاتصال الحديثة – وأجهزة التلفزيون على وجه الخصوص – قد استطاعت الوصول والدخول إلى كل منزل حتى تلك النائية منها فمع انتشار القنوات الفضائية أصبحت

هـــذه المقولة أكثر صحة، و لم يعد سكان الريف والجبال والمدن النائية بعيدين أيضا عن وسائل الاتصال بل إن أحـــد المشاهد المؤثرة لأي من المناطق النائية في الدول العربية هو رؤية أطباق الاستقبال على سطوح المنازل. ويـــنظر العديـــد من المهتمين بكثير من القلق للتحولات السريعة، الناتجة عن عولمة الاقتصاد في ملكية وسائل الأعـــلام وسيطرة فئة صغيرة (شركات متعدية الجنسية أو عابرة للقارات) على مختلف وسائل الاتصال، ومدى انعكاس ذلك على سياسات هذه المؤسسات وعلى مضمون المواد التي تقدمها هذه المحطات.(مطر،2001) وتزداد أهمـــية وسائل الاتصال ومدى تأثيرها في المرحلة الحالية، بل وخطورتها، حينما تتعرض المجتمعات إلى نوع من الثقافة المفروضة والمنبثقة عن مصالح وأهداف العولمة السياسية والاقتصادية الرامية إلى توحيد ثقافي عالمي يسلب الـــثقافات الوطنـــية والفرعية للشعوب النامية(منها العربية) نكهتها وحضورها وتعبيرها، وشخصيتها ويحصر وعـــيها بالمصالح المباشرة للعولمة.(مراد،150:2004) لقد أصبحت وسائل الإعلام تؤدي، وبشكل أكثر وضوحا وأهمـــية، تأثيرا في وعي المتلقي من حيث مفاهيمه قيمه وعاداته وتقاليده. وغدت وسيلة مهمة في تكوين الفرد ومـــزاج المجـــتمع، وأصبحت المشارك الرئيسي في تحديد ملامح سلوك الناس وحياتهم اليومية. كما أصبحت وسائل الاتصال ورسائلها جزءا من نسيج المجتمع وحياته في كل مكان في عالمنا، وذات تأثير مباشر في التكوين الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والثقافي للمجتمعات بل وقادرة على إحداث تغيرا في مسار الخيارات لهذه المجالات. فضلا عن تشكيل الوعي وتحديد مسار سلوك الأفراد والجماعة ولقد أثبت الإعلام بتقنياته الهائلة أنه فعـــال في تحولات السياسة والاقتصاد والفكر والفن والثقافة، بل هو ومحورها ومحركها. ولأن الدول المتقدمة تملـــك التكنولوجيا والمعلومات وهما أساس الاتصال، أصبح طبيعي أن تبسط هذه الدول سيطرتها على وسائل الاتصـــال والرســـائل التي تتضمنها هذه الأخيرة بحيث تكون في خدمة مصالحها ومطامعها فضلا عن دورها الإعلامـــي التقلـــيدي. كمـــا أصبح الاتصال يخضع لقوانين السوق وقواعد العرض والطلب وشروط المعلنين وأهدافهم، مما أدى في معظم الأحيان إلى الطغيان والتبسيط والتسطيح والإثارة والجريمة والعنف والجنس وتدني مســـتوى المحتوى الثقافي، كما انتشرت الأذواق الاجتماعية والثقافية للبلدان المتقدمة على نطاق واسع وغدت مألوفـــة وتحظى بإعجاب الكثيرين ويقلدها الناس، وقد تتخذ كمعايير للسلوك البشري في البلدان التي تتعرض لها، فقد أصبح بامكانها واستطاعت أحيانا كثيرة أن تغير في البنية الثقافية للمتلقي بعيدا عن أخذ ثقافته أو قيمه أو مصالحه وحاجات تطوره بعين الاعتبار.(مراد،152:2004-153)

وسائل الاتصال علاقتها بالتنشئة الأسرية والمجتمعية للطفل العربي في ظل العولمة

مـــن البديهي أن يسعى الأطفال من سن الوعي للإقبال على ما يتوفر لهم من وسائل المعرفة، فيتابعون بنهمٍ بـــرامج الـــتلفاز وألعـــاب الفـــيديو والكمبيوتر، و لم تعد التنشئة الاجتماعية للطفل منحصرة في أفراد الأسرة والمدرســـة باعتبارهما أهم مؤسسات المجتمع المساهمة والفاعلة في التنشئة الاجتماعية للطفل عامة والطفل العربي بالـــتحديد، وان احتفظتا بدوريهما ومركزيهما التقليديين، وهنا تكمن مشكلة التوجيه المعرفي للطفل وضرورة السيطرة على المادة المعلوماتية المعروضة من خلال هذه الوسائط، والتي يمكن أن تكون سلبية وخطيرة بقدر ما

هـــي مفيدة ونافعة. ومن جملة ما يمرره خطاب وسائل الاتصال في مجتمعاتنا العربية يتمثل في الدعوة إلى مثاقفة بين نموذجين ثقافيين متباينين عربي وغربي. كما يدعو إلى أسطورية الحظ عبر الإشارات والرهانان والمغامرات. ودعوتـــه إلى رفض الماضي المرجعية وتقديس الحاضر والمستقبل. وأيضا الدعوة إلى النظر إلى مركبات الخطاب التواصلي على أنها مستوى واحد يؤدي نفس الوظائف: علمية، الدينية، الأدبية، الفنية، وهذا ما يعتبره المثقفون ترســـيخ نموذج كوني للشخصية تختفي معه الفوارق الحضارية وتلويث اللسان القومي إمعانا في طمس الهويات الثقافية باستعمال أكثر من لغة في بث الرسالة التواصلية، هذا بالإضافة إلى آثار أفلام العنف والجنس.

وفـــيما يـــلي تحلـــيل لعلاقـــة التنشئة الأسرية والمجتمعية بأهم الوسائط أو وسائل الاتصال، هما التلفزيون والانترنت التي يستخدمها الطفل أو يتعرض لها في ظل عولمة وسائل الاتصال.

أولا: التلفزيون

يعـــد الـــتلفزيون من أهم وسائل الاتصال الجماهيري تأثيرا على الأفراد ويلعب دورا كبيرا في مجال التربية والتعلـــيم والإعـــلام. كمـــا يحتل المرتبة الأولى من بين وسائل الاتصال الأخرى، ذلك لأنه يجمع بين الصوت والصـــورة الملونة والحركة والمؤثرات المقصودة، ثم أحدث التقدم التكنولوجي، الصورة المجسمة. كما ربطت الأقمـــار الصناعية من خلال قنوات البث الفضائية بين الدول عبر العالم وحولته إلى قرية نعلم ما يجري بها من أحداث وقت حدوثها. وتزايدت أهميته بانتشاره الواسع بين كافة طبقات المجتمع باختلاف ظروفها الاجتماعية أو الاقتصادية أو الثقافية أو التعليمية.

ويعرف الوضع الاتصالي العالمي في ظل العولمة، تزايد عدد القنوات البث الفضائية سواء العربية أو الأجنبية، كمـــا نـــلحظ تســـابقا نحو الإكثار من ساعات البث التلفزيوني على نحو جعل الحاجة إلى البرامج تفوق طاقة الإنتاج، ما جعل القنوات العربية تعيد بث برامجها أحيانا أو استيراد البرامج العربية أو الغربية لسد حاجتها، مع العلم أن هنالك ارتفاع مذهل في كلفة الإنتاج وتقلص نسبة البرامج الجديدة والجيدة في سوق البرامج العربية، والى جانـــب ذلك تقلص دور هيئات التلفزيون الحكومية، واكتساح البرامج المنتجة من قبل الشركات الخاصة العربية أو الأجنبية والتي تسعى إلى الربح بحكم طبيعتها الرأسمالية. وتشير الإحصاءات إلى أن البرامج المستوردة من إنتاج أجنبي تمثل 23% من برامج الأطفال المبثة في الدول العربية. (خلف،1999:264-265)

ويقـــدم الـــتلفزيون نماذج سلوكية مختلفة باهرة وباهتة، جيدة وسيئة، من خلال البرامج التلفزيونية سواء المخصصـــة للأطفال أو غيرها ممن يتعرض لها الطفل في وسطه الاجتماعي. وفي هذا السياق تأتي نظرية باندورا (1962-1969) حول التعلم بالأنموذج، والذي يقوم أساسا على قابلية السلوك للتشكيل خاصة في فترة الطفولة المـــبكرة. حيـــث تشـــير هذه النظرية إلى أن **النماذج السلوكية** تؤثر بدرجة كبيرة في تبني الطفل للأساليب الســـلوكية والمعـــايير الدينية والأخلاقية. ويقدم التلفزيون" نماذج متلفزة " لها نفس فاعلية النماذج الحية التي يعايشـــها في اســـتثارة عـــدد من الاستجابات السلوكية. وتشير الكثير من الدراسات إلى أن مضمون البرامج التلفزيونـــية يؤثـــر في اتجاهـــات وسلوكيات الأطفال نحو الأشخاص والأنشطة. كما تشير الدراسات إلى أن

التلفزيون أصبح من الوسائل التربوية بالغة الحساسية والأهمية، يفيد في تنمية المهارات اللغوية والتعلم الاجتماعي والنمو المعرفي وفي اكتساب القيم الدينية والثقافية والشخصية، كما يعد وسيلة لتنمية الحس الخلقي ووسيلة لإشباع الكثير من الحاجات المعرفية والاجتماعية وتنمية السلوك الابتكاري، كما أنه يساعد في تعديل السلوك وفي اكتساب سلوك حل المشكلات، وتنمية مهارات التعلم الذاتي والتدريب على الاستقلالية وتحمل المسؤولية(1975)Piaget & Inhelder وهو وسيلة تثقيفية وتعليمية وتدريبية ،أحيانا، في توجيه الآباء والمربين إلى أساليب التربية الحديثة.(ابراهيم وسليمان،20002:48-49) فهو بذلك من دون شك يساهم في التنشئة الاجتماعية. وباعتقادنا أن مضمون برامج الأطفال يستحق عناء الدراسة والتمحيص باعتبار الطفل العربي جيل مستقبل المجتمع والأمة بصفة عامة. لسيما وأن الدراسات تشير إلى أن الطفل يجلس أمام التلفزيون منذ السنة الثانية من عمره، وهو يقضي وقتا يعادل الوقت الذي يقضيه في المدرسة أو أكثر. وقد لجأت المجتمعات المتقدمة إلى التلفزيون لإيصال المعلومة المقصودة للأطفال. فان لديهم قدرة كبيرة على استيعاب المفاهيم المرئية والمسموعة على نحو أسهل بكثير من القراءة والتخيل. ولذلك يعتقد الموجهون النفسيون التعليميون أنه ينبغي للوسائل التوجيهية أن تتخذ أدوات ووسائط جديدة تجذب انتباه الأطفال وتشدهم إلى تلقي المعلومة بشكل محبب بالصوت والصورة.(التدمري،2002) كما يعد أفضل وسائل الاتصال الثقافي بالطفل، لمقدرته على تجسيد المضمون الثقافي بفضل امكاناته في عرض المشاهد الواقعية والخيالية. وقدرته على تجسيد الأحداث والمواقف تجعل منه وسيلة بالغة التأثير في الطفل وتجعل عملية اكتسابه للثقافة عملية سريعة ومفيدة. ويكون هدف الاتصال الثقافي تشكيل ثقافة للطفل متوافقة مع ما يناسب احتياجاته وتطلعات المجتمع الذي ينتمي إليه.(عباس، 1997:137-138)

ويعرض التلفزيون اليوم من خلال القنوات الفضائية العديدة والمتنوعة غربية وعربية مختلف الثقافات الإنسانية، والتي تجعله للعولمة ومناصريها أداة لنشر هالتها وتكثيف حضورها عبر برامج ذات الصبغة العالمية من حيث رموزها أو شخصياتها أو نصوصها في محاولة للتوحيد الثقافي. وقد اخترق الإعلام العربي الموجه بواسطة التلفزيون، كافة الحواجز الجغرافية والسياسية والثقافية لمجتمعاتنا وفي مقدمتها ثقافة أطفالنا، في حين بقي الإعلام العربي متميزاً بالتشتت بين التغريب والتشريق، بين الأصالة والتبعية، تسيطر عليه نزعة الطرح الاستهلاكي للمتلقي وجذب أكبر نسبة من الناس نحوه دون النظر لنوعية مادة الجذب، محاولاً إثبات وجوده على الساحة بغض النظر عن تحقيق رسالته إلى الجماهير العربية في التركيز على المضامين وتعميق الفكر. وقد تستثنى بعض أجهزة الإعلام العربية من مرئية ومسموعة لمحاولاتها الجاهدة التركيز على الرسالة التي من شأنها تجسيد أصالة المجتمع العربي وخدمة مصالحه الإعلامية والترفيهية والثقافية بما يخدم حاضر المجتمع ومستقبله.

ثانيا:الانترنت

ليس هناك شك في أن "الكمبيوتر الشخصي ـــ بمكوناته المادية المتواصلة التطور، وتطبيقاته في عالم التجارة والأعمال، وبنظم خدمة الاتصال المباشر، ووصلات الإنترنت، والبريد الإلكتروني، والعناوين متعددة الوسائط،

والألعـــاب ـــ هـــو الأساس والركيزة للثورة المقبلة" على حد تعبير بيل جيتس (مؤسس شركة مايكروسوفت ورئيس مجلس إدارته.(جيس،8:1998)

وفي هـــذا السياق تشير الإحصائيات أن عدد مستخدمي الإنترنت في الوطن العربي في بداية عام 2001 م يقدر بنحو3.54 مليون مستخدم بزيادة قدرها1.5 مليون مستخدم مقارنة بالعام الماضي، مع توقع وصول هذا الـــرقم إلى 5 ملايـــين مستخدم في نهاية العام 2001 م وسيتضاعف إلى ما بين 10-12 مليون في عام 2002 م، سـيتركز 49% منهم في منطقة الخليج العربي، والتي تقدر نسبة استخدام الإنترنت بها حاليا إلى 5.6%. ويتوقع فينـــتون ســـيرف (أحـــد الرواد الأوائل في الإنترنت) أن الإنترنت ستكون بحلول عام 2005 م بحجم شبكة الهـــاتف الـــيوم وسيمهد الحكم الذي صدر عن الهيئة الفيدرالية للاتصالات في أمريكا عام 1996 م الطريق في الـــنهاية لاندماج التلفزيون والإنترنت.(رايلي،6-2:2001) ومع ذلك فان المتصفح للمواقع على شبكة الإنترنت يتضح له مباشرة التفاوت بين الكم المعلوماتي الأجنبي والعربي، ما يعبر عن ضعف في المعلوماتية العربية، ودلائله جنسية الشبكات النشطة في فضاء الإنترنت. فنجد أن ما يزيد على 99% من البرامج والمواد المعلوماتية باللغات الأجنبية وأولها ما نسبته 48% الصينية ثم اليابانية، فالإنجليزية – أمريكية وبريطانية. وتتوزع النسب المتبقية على اللغـــات الأسبانية والفرنسية والألمانية، ومن ثم النسبة الصغرى للغات والثقافات الأخرى، ومنها العربية التي لا تكـــاد تصـــل إلى نسبة 1%. مما يثبت لنا وجود " فجوة معلومات"، ما يتعارض مع ما تملكه أمتنا من حضارة ومعلومـــات إنســـانية وعلمية. وقد برزت تلك الحقيقة في النقص القائم في شبكات المعلومات العربية وعدم فاعلـــية مراكـــز البحث العلمي والمؤسسات المعلوماتية العربية في هذا المجال بشكل مؤثر، ولعل ذلك يشير إلى عـــدم وجود استراتيجية واضحة لعمل الحقل المعلوماتي العربي وغياب الحوافز التشجيعية والمكافآت للقادرين عـــلى البحـــث العلمي وإثراء المعرفة. ولولا المتبرعون من المثقفين والمفكرين العرب بإقامة مواقعهم وصفحات خاصـــة بهم لكانت المساحة المعلوماتية العربية أكثر فقراً. وهذا منبع الخطر على البنية الثقافية والفكرية للطفل العـــربي، للجيل الصاعد الذي لا يجد بديلاً معلوماتياً عربياً كافياً يغنيه عن التلقي المعرفي من المصادر الأجنبية. ممـــا يجعل ذلك يرتبط باستخدام اللغات الأجنبية أساسا اللغة الإنجليزية في تلقي الرسالة. وليس ذلك بالمشكلة إذا لم تحمل هذه اللغة ما يسيء إلى ثقافة المتلقي ورصيده اللغوي للغته الأصلية لسيما في مرحلة الطفولة حيث لا يزال الطفل متعلما للغة.(التدمري،2002)

العلاقات الاجتماعية الالكترونية

ولا يقتصر تأثير تكنولوجيا المعلومات والاتصالات على مجالات النشاط الاقتصادي أو العلمي أو السياسي، فهـــو يمـــتد إلى العلاقـــات الاجتماعـــية وبنية ومستقبل المجتمعات والدول. بل وأستحدث المختصون مفهوم **العلاقـــات الاجتماعية الالكترونية** ليعبر عن" جميع أوجه الاتصال الإنساني التي تتم في المجتمع بين أبناء المجتمع أو المجتمعات الإنسانية ككل، وتتم من خلال وسائل اتصال إلكترونية "، فقد بات أكيدا أنها تؤثر تأثيرا كبيرا عـــلى العلاقـــات الاجتماعـــية سواء على المستوى الفردي أو الجماعي، فالتغيرات التي تحققت في مجال تقنية

الاتصـــالات قد سمحت بقدر كبير من تبادل المعلومات وخدمات الاتصال والترفيه والتسلية والتثقيف، وذلك مـــع انتشـــار الفضـــائيات والأقمار الاصطناعية التي أدت إلى تقوية وتوسيع شبكات الاتصال، وظهور أنماط جديـــدة من الاتصال تسمح بها التقنيات الحديثة: مثل الاتصال عن طرق الكابل (Cable) وظهور خدمات الفيدتوتكســـت، ممـــا أتـــاح للناس استخدامها في أغراض عديدة منها : الحصول على الاحتياجات والسلع والخدمات المختلفة وممارسة الألعاب الذهنية والتعليم عن بعد. (مكاوي،1997:562-574)

ويري بعض الباحثين أن وسائل الاتصال التي أتاحتها تكنولوجيا الاتصالات قد أثرت على طبيعة العلاقات الاجتماعية في ثلاثة اتجاهات هي:

- تكريس العزلة والتفتت الجماهيري
- تكريس الهيمنة من خلال الاندماج.
- التوافق بين التكنولوجيا القديمة والحديثة

ومـــن جهـــة أخـــرى يـــرى آخرون أن تكنولوجيا الاتصالات بوسائلها المختلفة بما فيها الإنترنت تحقق الاتصـــالات بـــين الأشـــخاص والجماعات بسهولة ويسر متجاوزةً حدود الجغرافيا والزمن،فعن طريق البريد الإلكـــتروني مـــثلا يـــنمو الحـــوار الجماعي، ويدعم التفاعل على مختلف المستويات، ومن ثم يتعزز التماسك الاجتماعي. وفي هذا السياق تؤكد الدراسات الحديثة، أن استخدام البريد الإلكتروني ساهم في تقليل العزلة بين كـــبار الســـن والمعاقين ودفعهم إلى ممارسة أدوار اجتماعية جديدة من خلال قنوات الاتصال، كما ساعدت المواقـــع المخصصـــة للحوار على الإنترنت فئات عديدة على حل مشكلاتها مثل: مدمني المخدرات وأصحاب الأمراض النفسية.(العيصل،2001:26-30).

كمـــا يـــرى بعض الباحثين أن تكنولوجيا الاتصالات أثرت كثيرا في **بنية المجتمعات*** من حيث مستوى المعيشـــة وحـــل المشـــكلات. وعن الآثار الإيجابية لتكنولوجيا الاتصالات على بنية المجتمعات يرى هؤلاء أنها تســـاعد على زيادة التجارة، والتقدم الصناعي، وترابط المجتمعات وتقاربها، وتعمل على تحسين مستوى المعيشة كما أنها توفر معلومات متنوعة في جميع نواحي الحياة، تجعل الإنسان أكثر قدرة على تحسين نوعية الحياة، كما أدى ذلـــك إلى زيـــادة الطلـــب على أشكال جديدة من الترفيه. هذا فضلا عما تسهم به في حل مشكلات المجـــتمعات مثل المشكلات البيئية والصحة ومشكلات المرور، والتهرب الضريبي، الأمر الذي يؤدي إلى زيادة التحضـــر ورفاهية الشعوب.(مجلـــة الأنترنت،2001) وفي هذا السياق تشير إحدى الدراسات، أن اليابان تضاعف دخـــل الفـــرد فـــيها أكـــثر من ثلاث مرات بسبب تقنية المعلومات وأجهزة الحاسب وغيرها من الصناعات الإلكترونـــية. وفي الولايات المتحدة الأمريكية تضاعف دخل الفرد فيها ثلاث مرات ونصف خلال ربع القرن الماضي.(أبو حليفة،2001:16)

---

*) – وتعرف **بنية المجتمعات** بأنها " مجموعة الضوابط والقوانين والأنظمة والعادات والتقاليد التي تحفظ للمجتمع استقراره ووجوده، وتتمثل في اللغة والدين والهوية الثقافية والأنظمة القانونية والسياسية والاقتصادية والأمنية وغيرها ".

وحول مستقبل الشباب يرى علماء الاجتماع أن تكنولوجيا الاتصالات قد أثرت تأثيراً بالغاً على مستقبل الشباب، حيث أنها تساعد الشباب على تنظيم أسلوب حياتهم وطريقة تفكيرهم، كما تعزز التماسك الاجتماعي وتطور أنماط التفاعل الاجتماعي من خلال تدعيم التفاعل مع كافة المستويات لدى الشباب والاشتراكهم في مشاريع دولية، بما يساعدهم على حل المشكلات المتعلقة بالمجتمعات المحلية، والمساهمة في تطوير ودعم التراث الثقافي والإنساني العالمي.(مكاوي،572:1997)

المعلوماتية والتعليم

ويعد التعليم في عصر تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وعصر الاقتصاد العالمي سلعة أكثر حيوية ومقدمة للنجاح وقوة محركة للتغيير، لذلك من المهم أن ندرك أنه يجب علينا أن نتعامل اليوم مع التعليم بطريقة تختلف عن الماضي. فلقد أشار التقرير المعنون بـ " القضايا الأكثر أهمية " والتي أعدته اللجنة القومية للتعليم ومستقبل أمريكا، إلى أن العالم لم يشهد مرحلة مثل المرحلة الحالية، حيث يكون نجاح الأمم والشعوب وحتى بقاؤها مرتبطاً بقدرتها على التعلم ولا يوجد في المجتمع اليوم مجال واسع لغير الماهرين الذين لا يجيدون استخدام مصادر المعرفة، وتحديد المشكلات وحلها وتعلم استخدام التقنيات الحديثة.(رايلي،6-2:2001)

ويعد التعليم الإلكتروني من أهم التطبيقات لتكنولوجيا الاتصالات في مجال التعليم، حيث يقوم أساسا على ما توفره هذه التكنولوجيا من أدوات متمثلة في الحاسب الآلي والإنترنت، والتي كانت سببا في انتشاره وتطويره، ويعرف التعليم الإلكتروني بأنه " استخدام جميع الوسائط المتعددة بما فيها شبكة المعلومات الدولية وما تتمتع به من سرعة في تدفق المعلومات في المجالات المختلفة لتسهيل استيعاب الطالب وفهمه للمادة العلمية وفق قدراته وفي أي وقت شاء.

ويري التربويون أن التعليم الإلكتروني يحقق عدداً من المزايا: منها أنه ينقل العملية التعليمية من المعلم إلى المتعلم، ويجعله محور العملية التعليمية مما يجعل المتعلم فعالا وإيجابياً طول الوقت، وينمي مهارات البحث والاستقصاء والتعلم الذاتي ومهارات الاتصال والمهارات الاجتماعية ومهارات التفكير من خلال جمع المعلومات وتصنيفها ونقدها، ومهارات انتقاء المعرفة وتوظيفها، كما أنه يساعد الإدارات التعليمية في التغلب على نقص المعلمين والتغلب على مشكلة الدروس الخصوصية، كما ينمي المهارات الأكاديمية لدى المعلمين من خلال Video conferencing والإطلاع على التجارب والبحوث في مختلف أنحاء العالم. ويحقق التعليم الإلكتروني المزايا السابقة من خلال العديد من الأنشطة والوسائل، حيث أن الأنشطة التعليمية المستخدمة في التعليم الإلكتروني والتي يمكن أن تحقق أهداف المنهج المدرسي تنقسم إلى ثلاثة مجالات رئيسية. في المجال الأول: الاتصال وتبادل المعلومات بين الأفراد، وفي المجال الثاني: جمع المعلومات وتحليلها، وفي المجال الثالث: حل المشكلات. وتتم هذه الأنشطة من خلال وسائل عديدة منها المقرر الإلكتروني، والكتاب المرئي.(وزي،10:2001)

وتشير الدراسات إلى أن أكثر من 35000 معلم، و25000 طالب في مدارس التعليم العام والجامعات والكليات والمنظمات من مختلف أنحاء العالم يستخدمون مقررات إلكترونية على شبكة Blackboard، وبلغ

عـــدد الملتحقين بشبكة OnlineLearning نحو 20000 طالب في خمسين ولاية أمريكية، وأن هناك 82 منطقة تعليمـــية في الولايات المتحدة الأمريكية طرحت أكثر من 1700 مقرر على الإنترنت، وفي الولايات المتحدة بلغ عدد المدارس المتصلة بشبكة الإنترنت 87000 مدرســة بها ستة ملايين جهاز حاسب شخصي. وبلغ عدد الرسائل المرســـلة بالبريد الإلكتروني 2.2 بليون رسالة يومياً، ولم يعد الحاسب يستخدم في تعليم الطلاب العاديين فقط، بـــل الطلاب المعاقين سمعياً وبصرياً، والطلاب الذين يعانون من صعوبات في التعلم، والطلاب الموهوبين أيضا. وأصـــبح الحاسب يستخدم في التعليم عن بعد، وفي المكتبات والنشر الإلكتروني وغيرها، لسيما وأن هنالك من الدراســـات الـــتي أفادت نتائجها إلى أن استخدام الانترنت وبرامج الحاسب والحاسب ذي الوسائط التعليمية المتعددة في التدريس قد اشبع حاجات الطلاب وحسن من مستوى تحصيلهم.(الجرف،2001:193-210)

واذن قـــد راحت وسائل الاتصال تتيح لكل فرد إمكانية الحصول على المعارف والخبرات، ووسعت دائرة اســـتعمالها القوة العقلية من ذكاء وذاكرة، مما يساهم في تطوير هذه القوة منذ الطفولة المبكرة لدى الأطفال، غـــير أن وسائل الاتصال هاته تحكمها خصوصيات تجعل خطورتها أشد على التنشئة الاجتماعية للفرد، لدرجة أنها أصبحت مقلقة، لسيما حينما نادى أهل الاتصال أن وسائل الاتصال الحديثة قنوات توصيل المعرفة المعاصرة والمـــتطورة، في مقـــابل ما تقدمه المدرسة من معرفة متجاوزة مرتبطة دائما بالماضي، وهذا ما دفع بالمدرسة في الـــدول العربية إلى السعي إلى تغيير محتوى تعليمها تغيير مناهجه وطرق التبليغ والتدريس مع بزوغ مفهوم " البيداغوجيا المتفتحة " للتربية الحديثة التي تهدف إلى إخراج المدرسة من عزلتها،وجعلها تستفيد من مستحدثات الفكـــر والعـــلم والتكنولوجيا. وحاولت المدرسة إثر ذلك استعمال جميع التقنيات التي بإمكانها خدمتها سواء كانـــت سمعـــية أو بصرية، وإدماج وسائل الاتصال في تكوين المعلمين والأساتذة وإحداث مصالح خاصة لك " الـــتلفزة المدرسية " حتى تستعمل كمساعد بيداغوجي لها. ومع ذلك فأين نحن من مشروع المفوضية الاروبية المعـــتمد في سنة 2000 ، مبادرة دعتها" تصميم تعليم الغد" والتي تهدف إلى استخدام التقنية الرقمية من الحواسب والوسائط المتعددة والانترنت لتحسين نوعية التعليم، وهذا جزء من خطة تنفيذية **لأوربا الالكترونية** الـــتي تمتد فترتها من عام 2001 إلى عام 2004 ، من بين أهدافها تزويدكل المدارس بوصلة انترنت سريعة، وكذا وصلها بشبكات خاصة بالأبحاث وذلك قبل عام 2002. (السمح ورحال،2004)

لقد سادت الأجهزة الإلكترونية والبرمجة والأنظمة المعلوماتيةDATA BASE SYSTEMS ما يؤدي حتما إلى ضـــرورة الـــتحرر مـــن النظرة الضيقة إلى المنهج التعليمي، خاصة مع ما يحدث في العالم من تغيرات على مســـتوى جميع جوانب الحياة في ظل عولمة وسائل الاتصال وتبعات ذلك، فتكون هذه التغيرات أهم العوامل والدوافع لتطوير المناهج التعليمية بما يتماشى مع خصائص نمو الطفل العربي وحاجاته وميوله واتجاهاته وقدراته ومهاراته واستعداداته. فقد أصبح المطلوب اليوم من المنهج التعليمي أن يشمل كل أنواع النشاطات التي يعيشها الطفل في البيت والمدرسة والمجتمع أخذا بعين الاعتبار وجوده فاعلا تنمويا في المجتمع الذي يحيط به وعنصرا في مجتمع العولمة الذي يسعى إلى إلغاء الحدود الجغرافية والثقافية، وبهذا المفهوم يستوجب أن يأخذ المنهج التعليمي

مـــن الحياة مرونتها الحياتية والمعلوماتية. فعلى المنهج التعليمي التربوي في مفهومه المتجدد، من خلال مقرراته، أن يشمل الاهتمام بـــ:

- أساليب التفكير العلمي والفاحص وتدريب الطفل العربي عليها.
- تمكـــين الطفـــل العربي من أساليب التخطيط وإدراكه لأهميتها في ممارسة العملية التعلمية ونشاطات الحياة.
- التدريب على التنظيم وربط الأفكار والمعلومات بما يسمح بحرية التعبير وإبراز مواهب وقدرات الطفل العربي.
- مســـاعدة الطفـــل العربي على إدراك عناصر المحيط الاجتماعي والتقني الذي ينتمي إليه مع التعبيرات الواقعة فيه والتفاعل معها.

وبنظرة متفحصة لمناهج التعليم العربية الحالية نجد أنها في معظمها متخلفة عن الركب العالمي، كما أنها غير مؤهلـــة لخلـــق جـــيل عربي قادر على مواجهة صراع الحضارات، رغم أنه من المؤكد وجود توجيهات عليا وتوجهات متعددة للمناهج المدرسية لإجراء التعديلات والتطوير بما يتيح للأجيال القادمة أن تتحمل مسؤوليتها المســـتقبلية والمســـاهمة بالشـــكل الفعال في معالجة مشكلات الأمة وتحقيق أهدافها، في حين أن الصراع الذي تواجهـــه الـــدول العربية،هو بين أصالة لا يريد التربويين، صرحوا أو لم يصرحوا عن ذلك، التخلي عنها أمام حداثـــة تفرضها العولمة بما فيها من عناصر العولمة من تثاقف وتفتح على الدول المتقدة تكنولوجيا أو معلوماتية وثقافيا والتعامل مع ما تعرضه من نماذج تربوية وتعليمية واجتماعية وترفيهية. والمطلوب في عالم اليوم أن يرتقي التعلـــيم إلى وضـــع تفاعلي مع ممارسة الحياة اليومية ما أمكن ذلك، بحيث تتكامل المعرفة مع الفعل مؤدية إلى الخبرة وتكامل المعرفة ليكون الفرد مستعداً للإفادة منها نظرياً وعملياً. وقد وفقت الدول المتقدمة تكنولوجيا في مواءمة إيجابية بين توجهي التربية الدمجي والتحرري من خلال وسائل الاتصال، رغم ما يعترضها من مشاكل. لكـــن الدول النامية كدول استهلاكية تبعية لم تنجح في ذلك. مما يجعل إنسان هذه الدول يتعرض لأثار ذات مضـــاعفات ســـلبية خاصة في صفوف فئة الأطفال، التي تجد نفسها بين تنشئتين، تقليدية (في أحضان الأسرة والمدرسة) وحديثة معولمة ان صح التعبير، من خلال وسائل الاتصال.(القباج،1997)

نحواستراتيجية للمعلوماتية في التعليم في الدول العربية في عصر العولمة

ومـــن حسن الطالع أن يقرر الملوك والرؤساء العرب في السنة الأولى من القرن الحادي والعشرين تسجيل موضـــوع تكنولوجـــيا الاتصـــال والمعلوماتـــية بنداً قائماً في أطر كل اجتماعاتهم القادمة باعتبار هذا القطاع اســـتراتيجي في لتنمـــية الشـــاملة، كما أصدر المؤتمر العربي لحقوق الطفل بتاريخ 2-4 أوت/2001 قرارات وتوصـــيات عـــدة بشـــأن النهوض بالطفل العربي، محملاً الحكومات العربية والمواطنين والأسر والمجتمع المدني مسؤولية رعاية النشيء من كل الجوانب لتأمين النمو السليم نفسياً وجسدياً وعقلياً لهم.

ولا ننسى هنا أن نشيد بمحاولات تطوير المناهج الدراسية لما يخدم المستقبل العربي، ويساهم في بناء جيل صالح يقوم على التوعية المعلوماتية للأبناء منذ الطفولة، ومن ذلك أيضاً توفير برامج وقنوات تلفزيونية تعليمية للأطفال في بعض الأقطار العربية. هذا ما تمخضت عنه الجهود التربوية في عددٍ من الأقطار العربية الخليجية وسورية ومصر ولبنان وبعض دول المغرب العربي منها المغرب، وأذكر من تلك الجهود: إنشاء مدارس للمتفوقين في سورية حيث تسعى تلك المدارس إلى تنمية قدراتهم بما يتلاءم مع استعدادهم العقلي ومستوى تحصيلهم الدراسي المتميز. وكذلك في لبنان، حيث أعطت الهيئة اللبنانية للعلوم التربوية اهتماماً بيناً للمناهج الدراسية. والجهود المماثلة في الأردن والإمارات وغيرها من بلاد العرب والتي أصبحت المعلوماتية فيها مادة تدرس في مراحل المدارس المتوسطة والثانوية مع وجود فرص لإدخالها في المرحلة الابتدائية العليا باعتماد تعامل التلاميذ مع أجهزة الحاسب الآلي.

وفي إطار تصميم استراجية من شأنها حماية الطفل العربي ومساعدته على أن يكون بعيدا عن الأمية المعلوماتية وتتماشى تنشئته الاجتماعية (اكتساب التراث الثقافي- الاجتماعي والوظيفة التربوية)، .منطلقات الحضارة المعاصرة من خلال، وقبل أي شيء، يجب ترسيخ قيمة العمل والإنتاج والخلق والإبداع ثم :

- إدخال مفاهيم التكنولوجيا الحديثة في المساقات الدراسية للمراحل الدراسية التعليمية.
- تحديث المختبرات والمنشآت التدريبية من خلال التركيز على استخدام تكنولوجيا المعلومات.
- توفير معدات التكنولوجيا التعليمية وتطوير استعمالاتها.
- تطوير إمكانات المعلمين التكنولوجية وتأهيلهم لتدريس التكنولوجيات الحديثة.
- التنسيق مع مراكز البحث العلمي الوطنية والإقليمية والدولية في مجال التكنولوجيات المتقدمة.
- توفير التقنيات التربوية المتطورة لتيسيرعملية التعليم وزيادة فعاليته، ولاسيما الوسائل السمعية البصرية والحاسوب والقنوات الفضائية والوسائط المتعددة وشبكات المعلومات، والبرامج المعلوماتية وما شابه ذلك.(التدمري،2002)

وأخيرا من المؤكد أن تبني استراتيجية فاعلة في أسرع حال لتمكين الطفل العربي أن يكون في مأمن عن سلبيات التلفزيون أو الانترنت، والاستفادة منهما في تمكين الطفل أن يصبح عنصرا فاعلا تنمويا وناقلا لثقافة مجتمعه وعاكسا لحضارة مجتمعه في المستقبل القريب. كما أنه من الأكيد أن مدرسة المستقبل لن تكون مثل مدرسة اليوم، ولن تكون المصدر الوحيد أو الأساس للتعلم، وكما تقدمت المعدات والأجهزة، فمن المرتقب أن

تـــتطور نوعـــية المـــواد والبرمجيات، لتكون أدوات تعليمية ناجعة في البيت والبيئة، فضلاً عن استخدامها في المدرسة.

قائمة المراجع

1. أبو حليقة،إحسان.(2001). أهم التحديات التي تواجه دول المجلس التعاوني الخليجي من ناحية الفجوة الرقمية والإصلاح الاقتصادي المنشود. المؤتمر الخليجي الثاني للأعمال الالكترونية. مجلة الاقتصاد الخليجي،مارس – أبريل
2. إبراهيم، فيوليت فؤاد وسليمان، عبد الرحمن.(2002) دراسات في سيكولوجية النمو. الجزء الأول.القاهرة: مكتبة زهراء الشرق.
3. أبو السمع، حاتم عبد الرحمن ورحال، صلاح محمد.(2004). العصر الرقمي والتعليم.
4. بلقزيز،عبد الإله.(1998). العولمة والهوية الثقافية(عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة).المستقبل العربي ، العدد(229) . مركز دراسات الوحدة العربية.
5. الستدمري،-أحمد جلال.(2002).أهمية التوعية المعلوماتية في بناء شخصية الفرد منذ الطفولة. النادي العربي للمعلومات. من موقع http://www.arabcin.net. تمت مراجعته في نوفمبر،2004.
6. الجرف، ريما.(2001). المقرر الإلكتروني. المؤتمر العلمي الثالث عشر " مناهج التعليم والثورة المعرفية والتكنولوجية المعاصرة ". المجلد الأول. جامعة عين شمس: الجمعية المصرية للمناهج.
7. خلف، ياسين أحمد.(1999). القنوات الفضائية التلفزيونية وانعكاستها على شخصية الطفل في الوطن العربي. الفكر التربوي العربي. العدد الرابع.الأمانة العامة لاتحاد التربويين العرب.بغداد.
8. دويدار، عبد الفتاح محمد.(1999).علم النفس الاجتماعي.أصوله ومبادئه. دار المعرفة الجامعية
9. ذياب، مها.(2002). تهديدات العولمة للوطن العربي والمستقبل العربي. مركز دراسات الوحدة العربية. عدد(276). بيروت.
10. العيصل، عبد الرحمن.(1987). العرب وتكنولوجيا الاتصال تحدي الثورة المعلوماتية. القاهرة: دار النهضة العربية.
11. عمار، حامد.(1999). تنمية التعليم ضرورة لمواجهة العولمة. القاهرة: دار جهاد للطباعة والنشر والتوزيع.
12. علي، نبيل.(2002). الطفل العربي وتكنولوجيا المعلومات. العدد(50). الكويت: كتاب العربي.

عباس، فيصل (1997).علم النفس الطفل. بيروت: دار الفكر العربي.

13. رايلي، ريتشارد.(2001). أساس المعرفة، المدارس القومية والفعالة في رسالة التعليم. وكالةالاعلام الأمريكية.
14. رشوان، حسين عبد الحميد أحمد.(1998). الطفل. إسكندرية: المكتب الجامعي الحديث.
15. الشربيني، زكريا وصادق، يسرية.(2000). تنشئة الطفل. القاهرة: دار الفكر العربي.
16. الشيخ، رأفت غيثمي.(1998). الحفاظ على الهوية الثقافية في عصر العولمة. ندوة التنشئة الاجتماعية التي تواجه الأمة الاسلامية في القرن المقبل. رابطة الجامعات الاسلامية. العريش،21-23 أكتوبر.
17. القريطي، عبد المطلب أمين.(1998).في الصحة النفسية.(ط1). القاهرة: دار الفكر العربي.
18. القباج، محمد مصطفى، قرائة ل هند البشريوي.(1997). الطفل المغربي وأساليب التنشئة الاجتماعية بين الحداثة والتقليد.الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديد. من الموقع http://www.geocities.com/imanour_1/makala2.html تمت مراجعته بتاريخ أنوفمبر،2004.
19. اللحلح، احمد عبد الله وأبو بكر، مصطفى محمود.(2001). البحث العلمي. الإسكندرية: الدار الجامعية.

20. مطر،خولة.(2001). المذيعات العربيات... صورة جديدة للمرأة أم أداة لتسويق المحطات الفضائية. ورقة مقدمة في مؤتمر الاعلاميات العربيات في 16-18 يونيو. الاردن : عمان.

21. المجلس العربي للطفولة والتنمية. (أبريل2003). مشروع وثيقة دور الجمعيات الأهلية في تفعيل الخطة العربية للطفولة. http://www.accd.org.eg/pages/wathiqa.htm. تمت مراجعته في نوفمبر،2004

22. مكاوي، حسن عماد.(1997). تكنولوجيا الاتصال الحديثة في عصر المعلومات. (الطبعة الثانية) القاهرة: دار المصرية اللبنانية

23. مجلة الإنترنت.(2001).أعداد متفرقة، شبكة العنكبوت هل ستخنق الإنسان.

24. مراد، بركات محمد.(2004). وسائل الاتصال الحديثة والإعلام العربي(الواقع والتطلعات). الشؤون الاجتماعية.العدد81 ، السنة 21. دولة الإمارات العربية- الشارقة: جمعية الاجتماعيين والجامعة الأمريكية في الشارقة.

25. هيكل،سالم حسن علي.(1998). تربية وتنشئة الفرد في إطار متوازن بين ثقافة مجتمعه والاحتكاك بالثقافات المجتمعيةالأخرى" دراسة مفاهيمية تحليلية ".ندوةالتنشئةالاجتماعيةومواجهة التحديات الثقافية والاجتماعية التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن المقبل. رابطةالجامعات الإسلامية.تونس،21-23 أكتوبر.

26. الهيتي، هادي نعمان.(1988). ثقافة الأطفال. العدد(123) الكويت: سلسلة عالم المعرفة.

27. وزي، محمد العطر.(2001). إعداد المعلم وتدريبه في ضوء الثورة المعلوماتية والتكنولوجية المعاصرة. المؤتمر العلمي الثالث عشر " مناهج التعليم والثورة المعرفية التكنولوجية المعاصرة ". المجلد الأول. جامعة عين شمس: الجمعية المصرية للمناهج